

نافذة

الإرهاب بين قوتين

قوة القوة وقوة الضعف، حيث حاول الكثيرون من جهاذة الفكر العربي والعالمي وضع تعريف له، واجتهدوا وما زالوا من دون وعي، أو بخبث الوعي، من باب أن المعرفة لا يعرف، وناه الجميع، فيما ينشد الوصول إليه، الإسلامي استثنى منه الجهاد، والعلماني وصم الجهاد به، والصهوني الحاكم الحقيقي للأوروميركي استفاد من الحالتين، وضرب شعوب الأول والثالث معاً، باعتباره يجسد بين يديه فلسفة العنصر والجزرة، ممعماً وجوده هنا، ومختبئاً خلفه هناك، من دون إدراك من المجتمعات، أن كوكبنا الحي، غدا في حالة نقاش دائمة من قبل ساكنيه، والذي يشكله لمؤتمراً في حد ذاته، فما الحاجة إليه، ما دام يمتلك ازدواجية الخير والشر؟ والنقاش حول عنواننا، يتناولها القاضي والداني، الفكر الإيجابي المؤمن بالحوار الخلاق أمام ظلال الخوف وظلالته، التي تبقى خلف الأفتعة، يضرب المكان والزمان في آن، ما الغاية من تعويمه؟ ما العلاقة بين المتضررين والداعمين؟ أليست معادلة مركبة صعبة وغير مقنعة؟ حتى إننا نجدنا منسوجة بدرجة دقيقة، المنطق لا يبرر، ولا يحتاج لإثبات الإرهاب، ومن خلال أفعال التهريب واستعداد الخير، يحتاج أثناء مسيره إلى تبرير الحكاية التاريخية، التي قام عليها البناء الروحي، الذي أشار إلى الإرهاب، في الكتاب المكتوب: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به به الله وعدوكم» وأيضاً في الكتاب المقدس «تث ١: ٢٩ فقلت لكم لا ترهبوا ولا تخافوا منهم» كذلك «أبي ١٥: ٢٤ رهبه الضر والصديق. يتحيران عليه كملك مستعد للوغي» «أبي ١٨: ١١: ترهبه أهوال من حوله، وتذعره عند رجليه.»، لتظهر معها ثنائية الضمير، بين وجهتي الطريق، التي يتمتع بها عالم الشمال برمته، ومتوالياته، تتجسد بشكل خاص في الغرب الأوروميركي، يتجلى حضوره حينما يطمح أي شعب أو دولة في عالم الجنوب لبناء دولة على أسس تقنية علمية، يضع من خلالها قدما على طريق مواكبة أبحاثه، أو يطرح شعارات التحديث والتطوير، أو حتى يسعى لتطوير خطاباته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وحتى الدينية، حيث تعتبر مباشرة جريمة، فيبدأ الكيل بمكيالين، وتبدأ معها ازدواجية المعايير، فإن تقوم بالسعي للتقدم والتطور وامتلاك نواصي التكنولوجيا، فهذا غير مسموح، أما إن حدث أن وصلت إلى نقطة ما في التصنيع أو الإبداع، فإن ثأرتهم تتجلى مباشرة، حيث يتم تجييش قوانين الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وليبدأ الحصار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، والديني ومن ثم ضرب البعض بالكل إلى أن يحدث ضياع وفقدان للذاكرة.

قوة تهدف إلى إدخال الرعب والترويع والابتزاز والضغط بشتى الوسائل على الإنسان الواقعي، فرداً أو جماعة أو دولة، تستخدم القوانين الجائرة، وتضغط بها في كل المحاور، تتراقت بأعمال إجرامية، تستخدم كل صنوف الأسلحة، تبدأ من النفسية وصولاً للعسكرية، وقوة تتحمل المعاناة الإنسانية رغم إيمانها المطلق بالروح، تستند إلى منطق المقدس، وتكون في الوقت ذاته المأساة والأتون، كما هي الحال في العالم الثالث برمته، وبشكل خاص الشرق الأوسط، الذي ما فتئ يدعو لمؤتمر ولعقدو طويلة، من أجل تحديد الجاني والمجني عليه، حيث كان يواجه برفض قاطع، حادثاً واحدة لمجلة مهمة، تتعرض لعملية إرهابية، تثور ثأرتهم، ويجمع قادته، يسيرون في باريس على الأقدام، يشكون أياًديهم ضمن مهزلة ولا أسفخ من ذلك، ثم تقوم الولايات المتحدة بالدعوة للبحث عن سبل إنهائه ومنع انتشاره، ضمن منتدى مقاومة أو مناهضة الإرهاب، كيف يحدث هذا والإرهاب يضرب في سورية ومصر وليبيا والعراق واليمن وتونس ولبنان والبحرين، ولا من رفة جفن أو طرفة عين؟! وصحيح أن هناك تحالفاً ضد وليد من إنتاجهم، مشكوك بأمر تحالفهم عليه، والمؤشرات جميعها تحرض الأسئلة وتراكمها عن الأسلوب الذي يتبعه الغرب، وبشكل خاص أميركا في تعاطيها مع القضايا وتوجيهها إليها، وحينما تحدث الأسئلة العاقلة، لا نحصل على إجابات، إنما مناورات وألغيب وأكاذيب، غدت واضحة للإنسان العربي، بشكل خاص، وللإنسان عالم الجنوب برمته، كيف بالغرب يصادق الأقران من الدول العربية، والكيان الصهيوني كيف يصادق الإرهاب، ويصنعه ويقائله، كيف يدعمه هنا ويمعنه هناك؟! أليست ثنائيات وزدواجيات تكيل بمكيالين؟ ألا يجب أن يعي العرب، ما يدك لهم؟ يشكونهم والمخطط الرهيب الخفي العلني الذي ملأنا ربه بعضنا بعضاً، أشقاء أصدقاء، حلفاء فرقاء، طوائف مذاهب أديان، أولم نبلغ الرشد بعد لنعي أبعاد ما أحبك لنا تاريخياً؟ أولم نفهم أننا وصلنا حافة الهاوية؟ كيف بنا حتى اللحظة لم ندرك هذه الثنائية التي تحاول اغتيال جمعينا؟ وعلى الرغم من أن البعض امتلكها، لكن كعادة أبناء جلدتنا استسلم لعالم الشمال، الذي حوله إلى أداة بيده، فكان خيره للغرب، وشره لشقيقه في العربية والإسلام، وبالتالي ظهرت هذه الأزواجية الثنائية، التي عرفت منذ نشأتها كمحرك أساسي للعبة الكبرى، التي جعلتها صراعاً، يؤججونه، ينتصرون دائماً به، لتبقى بيدهم سيادة العالم أجمع.

من المعنى بتعريف الإرهاب؟ ومن ذاك الذي يستطيع انتزاع الكراهية من قلوب وعقول البشرية؟ طرح الكثير من الأفكار، ومازال مستمرأ حول إيجاد لغة تعريف الإرهاب، إلا أن الفهم الدقيق، لم يصل حتى اللحظة إلى إدراك واستيعاب معادلة الكيل بمكيالين والمعايير المزدوجة المهيمنة على الخلق، والسبب وضوعه الدائم بين منظومتي الأقوى في امتلاك القوى، القوى المتسككة بالضعف والروحانيات؛ فمتى سنعي، وإن كنا وعينا، فكيف لنا أن نتصرف تجاه هذه الموقف، وهل نقدر، وأعتقد أن علينا أن نقدر؟

د. نبيل طعمة

د. الجعفري يميظ اللثام عن سياسة التحالفات السورية قبل ربع قرن

التحالف السياسي يحول الخلافات إلى علاقات ودية وانسجام في الأجندات بما يؤدي إلى إقصاء الخلافات

| اسماعيل مروة

(سياسة التحالفات السورية ١٩١٨-١٩٨٢) دراسة سياسية ثقافية فكرية حضارية في تاريخ سورية حتى عام ١٩٨٢، وإن كان العنوان قد بدأ عام ١٩١٨، إلا أن المسار التاريخي العلمي استوعب الحضارات السورية والعلامات المؤثرة، والزوايا الفاصلة للتاريخ

التوثيق السوري

قبل ربع قرن من اليوم شرفت بمراجعة كتاب (العراق) بأجزائه الثلاثة لمؤلفه الراحل حنا بطاطو الباحث العراقي المتمق، و مترجمه الصديق الراحل عفيف الرزاق، وحكم وقتك عند هذا الكتاب بإجلال وتقدير، حتى وإن اختلفت معه في بعض القضايا، فقد استعرض الكاتب في كتابه الذي هو في الأصل أطروحة تاريخ العراق مما قبل الجمهورية، وقيام الجمهورية، والأحزاب السياسية وحكم حزب البعث، ومجمل الحياة السياسية، وتمتنت يومها، وأنا أضع كل فاصلة ونقطه أن يكون لسورية مثل هذا الكتاب الذي يوثق الحياة السياسية والفكرية، خاصة وأنا أرى سيل الكتب التجديدية أو المحاكمة لسورية، والتي تعتمد رؤية واحدة، وتنتهج الإنشاء وحده، ويلجج القارئ بالانطباع واللامعرفة، ويدور في فلك ذاته والكتائب؛ ولم أكن أتوقع أن يأتي مثل هذا الكتاب الذي وددت وجوده بعد ربع قرن، وحين خصني السيد رئيس التحرير بقرائه كنت على موعد مع المعرفة الحققة للكتابة العلمية في تاريخ سورية، ومع معرفة المؤلف الدكتور الجعفري الذي علقت صورته في ذهن كل سوري وهو يستشهد في أروقة الأمم المتحدة بقول نزار قباني (اشكو العروبة أم أشكو لك العروبا) وعند قراءة الكتاب يتكشف القارئ بل يستكشف الخلفية المعرفية التي يحملها، والأبعاد الثقافية والسياسية والتاريخية التي كونت فكر الدكتور الجعفري عبر عقود من البحث والعمل في الميادين الأكاديمية والدبلوماسية، لينهل من هذه المعرفة التي لا تتركز إلا في التجربة والمعاشية وحدها بل تتركز إلى البحث والتحليل المعقن، والذي يترافق مع التجزئة الشخصية التي لا تشكل أكثر من إطار عام لهذا الكتاب، وتمثل ذلك في التمهيد الذي قدم فيه لكتاب موسوعي أنجز عام ١٩٨٩ ليكون بحثاً علمياً محكماً أمام لجنة علمية المنهج يحكمها، والتوثيق طريقها.. وهذا ما جعل الدكتور الجعفري يقول عن مسوغات نشر الكتاب في توطئته: «قد يظن ظهور هذا الكتاب الآن ومن دمشق بالذات الكثير من التساؤلات المشروعة لدى القارئ العربي، وفي صفوف المهتمين بالتاريخ السياسي لدول منطقة الشرق الأوسط.. سادة الكتاب هي في الأساس مضمون أطروحة دكتوراه دولة في العلاقات السياسية الدولية.. فمت على مدار الأعوام الماضية بمراجعتها وإغنائها وتنقيحها ببعض المراجع المهمة التي ظهرت خلال العقدين الأخيرين، وبما يتلاءم مع روية البحث العلمي وتثبيت أو تطوير حقائق سياسية ذات صلة مباشرة بالتطورات والتحديات الخطيرة التي واجهتها المنطقة شرق الأوسطية بشكل عام وسورية بشكل خاص.. وغني عن القول: إن المراجعة والتنقيح لم يمس جوهر المضمون الأساسي للبحث، بل أغنيها بزوايا جديدة وأبعاد أوسع».

البحث وضرورته

لست أدري سبباً لعدم صدور هذا البحث منذ إنجازه عام ١٩٨٩ سوى الانشغال بالشان العام الدبلوماسي والسياسي، وعدم الاستقرار، وكثرة الترحال، وقد كان هذا الأمر شاغلاً للمؤلف، لذلك نادر إلى المراجعة والتنقيح والإصدار «إن أي بحث سياسي جاد حول تاريخ سورية السياسي مطلوب بشدة هذه الأيام ومرغوب لدى القارئ العربي والباحث المتخصص، وذلك بسبب اتصال هذا التاريخ بالذاترة التاريخية الأوسع لمجمل دول المنطقة، وكذلك بفعل أهمية الحراك السياسي السوري وتأثيره البالغ في شعبة العمل القومي السياسي العربي وشرق الأوسطي.. انطلاقاً من ذلك أرادت إصدار هذا الكتاب بقلم سوري من دمشق لكي يكون أكثر قرباً من حقائق التفكير السياسي السوري، وأبعد ما يكون عن الاستشراق والقرءات الاستنسابية والأفكار المسبقة والدوافع الإيديولوجية وحسيات الريح والخسارة».

فالغاية الأولى من هذه الدراسة المعقمة تقديم الرؤية السياسية لتاريخ سورية والمنطقة، وتحديد شعبة العمل القومي لفهم سياق ما جرى ويجري على أرض سورية والمنطقة من أحداث، وعدم إخضاعها للأمزجة الآتية، والقرءات المرتجلة للواقع. وعندما تتعمق الرؤية يصعب المرء قادراً، على فهم آليات الصراع السياسي، وعلى تحديد كل ما يدور ويجري بعيداً عن حسابات الريح والخسارة كما يعبر الجعفري.

من عمق التاريخ إلى الحاضر

جاء الكتاب في مقدمة عن السياسة السورية ومفهوم الأحلاف، والوحدة الاستراتيجية والأمن القومي العربي، ثم تلا ذلك فصل من الأهمية بمكان هو المسار التاريخي الذي ضم ثلاث أفكار: سورية منذ أقدم العصور، الحلقة العربية الإسلامية، الانحلال تحت التأثير الاستعماري.

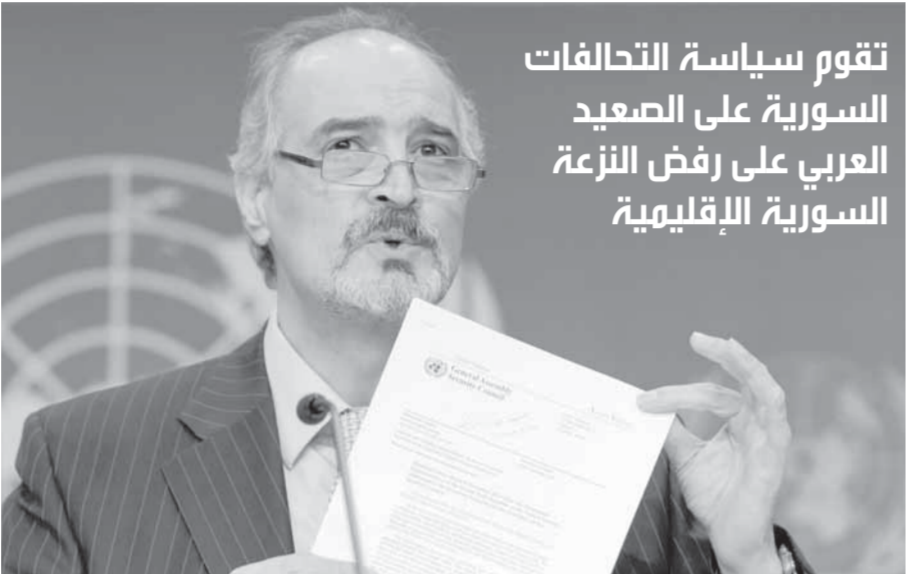
ثم انقسم الكتاب إلى قسمين رئيسيين، وتحت كل قسم عدد من الأبواب والفصول، وتيبأً للمحتوى، فقد جاءت كالتالي:

القسم الأول: نقل مقومات المجتمع السوري في تقرير السياسة السورية، جاء في بابين الأول: المؤثرات الداخلية، وضم الفصول، النشاطات السياسية الداخلية السورية، الأحزاب السياسية، والثاني: المؤثرات الخارجية: الأثر الاستعماري والوحدة، الواقع الإسرائيلي.

القسم الثاني: التطبيق العملي لسياسة التحالفات السورية، جاء في ثلاثة أبواب الأول: التحالف المتكافئ والاقتصاد، سورية والعراق، والثاني: التحالف المتكافئ والاقتصاد، سورية ومصر، والثالث التحالف غير المتكافئ، سورية والاتحاد السوفيتي.

ومن خلال هذا التقسيم يتضح ما يريده المؤلف من

تقوم سياسة التحالفات السورية على الصعيد العربي على رفض النزعة السورية الإقليمية



تقوم سياسة التحالفات السورية على الصعيد العربي على رفض النزعة السورية الإقليمية

لم يستطع الرومان القضاء على الهيلنستية في سورية

باعتبارها سيده الفنون والعلوم فأضافوا إليها الحرب والحكم

العربي، بل تركت أثرها كذلك واضحاً في التحالفات السياسية الخارجية العربية- العربية، الإيرانية- العربية، السورية- الإيرانية، العربية الإيرانية، وذلك وفق الرؤية الاستراتيجية العميقة للسياسة السورية الخارجية.

عدا هذه التوافقية كان الجعفري حاذقاً في عرض الحياة السياسية والحزبية في سورية، فالواقف والسياسيات والتحالفات لم تكن اعتباطية، وليست شخصية، وإنما هي نابعة من صميم الحركة السياسية النشطة التي تعج بالأفكار والآراء والأحزاب، وحيناً إلى جنب استعراض الجعفري الحياة السياسية بعد الاستقلال والتي كانت بمجملها تحتج عن هوية، وتتصارع فيها الأفكار والآراء، حتى تم نشوء الأحزاب السياسية، التي تلت الأحزاب الوطنية مثل الكتلة وسواه.

والأحزاب السياسية كانت امتداداً للحركة السياسية السورية التي بدأت في ظل الاحتلال التركي العثماني، ومع نشوء الدولة الوطنية بدأت نوازع الأحزاب بالتشكل: الإخوان المسلمون، الحزب السوري القومي الاجتماعي، الحزب الشيوعي السوري، حزب البعث العربي الاشتراكي. وللحق يجب القول إن الاستعراض التاريخي الموثق المعتمد على كتاب من الغرب والشرق والعرب لهذه الأحزاب كان علمياً، وحاول الجعفري أن يبعد رأيه الشخصي ما أمكن، التزاماً بالمنهج العلمي الصارم الذي أخذ به نفسه، فحديته عن الإخوان المسلمين كان حديثاً تاريخياً علمياً تفصيلاً ومختصراً، فلم يدخل في مآزات الأحداث، واكتفى بقراءة المسيرة التاريخية لهم، وأنصفهم أيما إنصاف، ولكنه لم يفلك الجانب العسكري السري في حياة الجماعة، وذلك الارتباط الوطيد بين أفرع الجماعة في المنطقة العربية والعالم، وعند حديثه عن الحزب السوري القومي، أبعده عنه تشبيه بالأحزاب الفرنسية، واتبع المنهج العلمي في عرضه التاريخي والفكري، وكذلك الأمر مع الشيوعية وحزب البعث، ولو نظر القارئ لسفيذ أن المساحة التي استغرقها كل حزب تساوي الأخرى، والأسلوب والمنهج كان واحداً تقداً وعرضاً، واستقصاء، ولكن من دون طعن يدفع إليه الانتهاء أو التاريخي.. لذلك تمتد أن يكون لسورية كتابها عملياً حنا بطاطو يكتبه خبير ومطلع ومتخصص عراقي.

أخيراً

سياسة التحالفات السورية للدكتور بشار الجعفري كتاب موسوعي مرهق لقارئه الذي تنهال عليه المعلومات، وهو لا يتوقع ذلك، ويصطر لإعادة قراءة فصوله أكثر من مرة، يصعب على القارئ أن يخلص منه بخاصة، فكله مكثف وخالص، ويصعب أن يختصر منه المرء جزءاً على حساب آخر، لذلك عدت بعد قراءته إلى هذه الإضاءة في المحاور والأفكار، وأزعم أن الكتاب يجب أن يكون في مكتبة كل سوري، لأنه سيرك حقائق كتبت قبل ربع قرن من الأزمة السورية، تشير هذه الحقائق، ويوضح تام إلى خطورة سورية وموقعها وموقفها، وإلى الأخطار التي تتعرضها ولكنها لم تنتبه، ويحسن أن أقتم بعبارات للدكتور الجعفري، وهو الأدر على الشخص:

«إن قراءة تاريخ المشرق العربي الحديث والمعاصر تؤكد صوابية الحساسية المفرطة للحرب إزاء اتفاقية سايبس - بيكو الاستعمارية التي قوّضت فرض إقامة الدولة العربية الموحدة في بدايات القرن العشرين، وأضغفت مفهوم الدولة الوطنية، وزرعت فيروس نمو الهيمنة التقنيتية... ولعل أهم الدروس التي يمكن استخلاصها من مسار ذلك التاريخ عدم استكمال الاستقلال الوطني».

رؤية فيها الكثير من التحليل لسورية ودورها وتاريخها، وفيها الكثير من الخوف والحرص على وطن لم تستطع كل الجحافل أن تلغيه... أتمنى أن يحظى بقراءة يستحقها من كل السوريين مهما كان انتماءهم، وإن خالفوا الدكتور الجعفري في الرؤية.. وأمل أن تقوم هيئة حكومية بطبعه طبعة شعبية ليصل إلى الشريحة المستهدفة، ويحقق الغرض الذي من أجله كان.

تدور في أذهان الجميع، لكنه من واقعته الأكاديمية والدبلوماسية جدها بعلمية، وأظن أن الإجابة عنها يأتي أن تشرح السياسة السورية وتحالفاتها، وخاصة عندما نقرأ هذه التحالفات: التحالفات المتكافئة مع الأنداد الأشقاء: العراق ومصر، ومن ثم التحالف المتكافئ الذي كان مع الاتحاد السوفيتي وتزمت في عهد بريجنيف، وقد دعا هذا التحالف في متكافئ لأنه يتم بين دولة صاعدة، ودولة تمقل أحد قطبي العالم آنذاك، وسياسة التحالفات تقسرها أسئلته التي طرحها:

— هل تعاني سوريا من عواقب الحدث السياسي أم اخترع ذلك الحدث وتكيفه بحسب حاجاتها؟

— هل توجد خيارات استراتيجية محددة يمكن تبنيها على الرغم من الهزات الكبيرة التي تعرضت لها؟

— ما الوسائل المتوافرة لديها من أجل التوصل إلى تحقيق طموحاتها.

العراقي- السوري؟

قبل دخول دمشق سياسة التحالفات الخارجية يطرح الجعفري هذه الأسئلة المنطقية والعلمية، وربما كانت هذه الأسئلة مجتمعة هي أسباب ارتفاع منسوب السياسة الدبلوماسية السورية الخارجية، ووراء نمو التحالفات التي وجدت سورية نفسها مضطرة لأسباب تخصصها، وأخرى تخص دورها المتشود الذي يبحث عنه حتى امتدت إليه.

الداخل اختصاراً ومنطلقاً

من الضرورة يمكن أن يصدر هذا الكتاب للدكتور الجعفري، فالكثيرون- بسبب التصغير الخفصمي والإعلامي- لم يعرفون التفاصيل العلمية للشخصيات الفعالية، وداعي هذا القول إن مناقشات الدكتور الجعفري خلال ما اصطلح عليه «الأزمة السورية» في أروقة الأمم المتحدة كانت مقنعة وقاطعة، ولم يستطع أحد ممن يقضون في مواجهة ردها أو التحاور فيها، أو التندر كما يحدث مع الآخرين والسبب في ذلك أن المعلومات التي يقدمها في مناقشاته ومرافعاته عن سورية ليست إنشائية أو إرتجالية، وليست قائمة إليه من خبراء آخرين، فالوقف واضح لديه، والمعرفة العميقة هي أساس دراسته التخصصية لإلدارة العلوم السياسية والدبلوماسية، فما من مرة تحدث الدكتور الجعفري عن التيارات الفكرية الدينية والتفكيرية والقومية والقطرية والعلمانية، وما يمازج بين أكثر من توجه إلا كان مقنعاً ومفصلاً، وحين صدر هذا الكتاب السوري الموسوعي بقلم سوري علمي متخصص ومنخرط في العملية الدبلوماسية والنسورية ظهرت تلك المعرفة، وليس من باب الجاملة أن أقول: إنني لأول مرة أجد حديثاً علمياً مهيناً عن الحياة السياسية السورية وأحزابها مجموعاً في كتاب واحد، وكان على الدارس أن يذهب إلى كتب شتى، وكلها ذات هوى وميول، مع أو ضد، لكننا في هذا الكتاب المنجز قبل ربع قرن، والمنشور في أثناء الأزمة السورية والحرب عليها نقف عند الآراء العلمية المنجردة، ويشكر للدكتور الجعفري أن الأحداث الحالية لم تجعله مخالفاً للحقائق العلمية التي توصل إليها قبل ربع قرن، عدا استعراضه للمسار التاريخي، والغزوات والاحتلالات التي تعرضت لها سورية في تاريخها المرقق في القدم، والذي تناول فيه- من دون أي مؤثر- الأطناع العثمانية والتركية والأوروبية، ومن قبل الرومانية، لكن كل تلك الحضارات التي زخرت بها سورية بقيت فيها وعالمها رغم كل الاحتلالات التي طالتها، والروح العلمية والانتماء جعلها الدكتور الجعفري يتحدث عن سورية العربية لغة وانتماء في المرحلة الإسلامية، فخصها بفضل كامل، لكن دون أن يجعلها في جوهر التواصل التاريخي، وإنما جعلها مرحلة مستقلة تركت أثرها في بنية الفكر السوري العربي

هذا البحث العلمي، ومجرد البحث في العناوين وإمعان النظر يوضح العلمية أمام القارئ، فنحن أمام تحالفات متكافئة، وأخرى غير متكافئة، وأمام ظروف داخلية وأخرى خارجية، أمام بلد صاعد يريد أن يأخذ مكانته، ويمتلك الطموح المشروع لأداء دور عربي وإقليمي يرفض الانعزال والقوقة، وهذا ما يؤكده بالتفصيل عند حديثه عن الدور السوري بعد ١٩٧٠ والذي اعتمد على البرامشات للرئيس حافظ الأسد.. ولكن إشارات المؤلف المتناثرة تؤكد وجود حالة من الصراع والتضاد بين الرأي السوري لدوره، والرأي الغربي لهذا الدور، فيقول عن هذا التضاد أو الرؤية المختلفة بين الغرب وسورية «بعكس الهدف السياسي المتطرف أحياناً لدى القيادة السورية، الأخطاء الفادحة التي ارتكبتها الغرب بحق بلد مؤهل للعب دور القلب في الوطن العربي، إذا أتاحت له الظروف القيام بذلك، ولأسما أن سورية تطوعت، من تلقاء نفسها، للقيام بدور إقليمي وقومي أكبر من طاقاتها وإمكاناتها الديموغرافية والاقتصادية والثقافية، وهي تتحدث باسم العرب في سبيل الدفاع عن المصالح العربية الاستراتيجية، وتجاه إسرائيل باسم الضلال ضد مشاريع تخريب الأرض العربية وتقسيمها».

هذه الرؤية فيها من الواقعية ما فيها، وفيها من عمق التصوير للواقع الكثير، فالبلد طموح ومؤهل، وقيادته لتووع وحملت دور طاقاتها على مختلف الصعد، لكن الغرب لم يفهم مثل هذا الدور على حقيقته فجاهبه، ما دفع إلى مواقف متطرفة أحياناً، وربما كان هذا الرأي يفسر ما يجري على الأرض الآن أو بعضه.

المحاور العامة لسياسة الخارجية

قد لا يعتني القارئ والباحث بتفاصيل الأحداث، وخاصة عندما تصدر الدراسة عن باحث منخرط في العمل الدبلوماسي والسياسي، لذلك آقف عند الاستخلاصات التي خرج بها الباحث في دراسته إلا أن الخلافات والخصومات بين الدول العربية تجاه العالم الخارجي لا ينبغي لها أن تحجب واقعاً آخر يمثل انتصاراً سياسياً بالغ الأهمية، ويتعلق بالتقارب النسبي في وجهات النظر العربية تجاه مواضيع النزاع العربي- الإسرائيلي، والتعاون العربي- الإفريقي، والحوار العربي- الأوروبي، وقد حافظ ذلك التقارب على مستوى الأندى السياسية الخارجية العربية، وكان في صلب السياسة الخارجية السورية في فترة السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين».

ويحدد المؤلف تحالفاً سورية الخارجية مطلقاً عليها تسمية المحاور:

١- المحور الأول: إقليمي «مشرقي» يستقطب الاهتمامات الرئيسية للسياسة السورية، وكما يدل اسمه عليه فإن إطاره هو المنطقة العربية، لكنه يشمل كامل بلدان الشرق الأوسط.

٢- المحور الثاني: ويتجاوز الضرورات الأمنية الملحة لكي يشمل كل الاهتمامات العاجلة للبلاد العربية الأخرى.

٣- المحور الثالث: يتعلق بالمجال الدولي حيث تمارس سورية دبلوماسية طموحة وشاملة هدفها نقل الصوت العربي عامة والسوري خاصة إلى ميادين النفوذ الدولية، وهنا تندمج سورية في اللعبة السياسية العالمية.

وهذه المحاور من الأهمية بمكان لأنها تشكل محاور ومحددات التحالفات السياسية السورية الخارجية، والتي لم تكن إلا منطلقة من هذه المحاور، ومن هنا يأتي تفسير المحاور السياسية السورية التي لا تقوم على العصبية والعشائرية!

ويعد وضوح الرؤية السياسية السورية في السبعينيات تعزز البحث عن سياسة الأحلاف السياسية، والتي يرى الدكتور الجعفري أنها كانت وراء ازدهار الدبلوماسية السورية «إن عودة سورية بقوة إلى المسرح السياسي العربي والدولي تشكل دافعاً للبحث في سياسة الأحلاف السورية، وهي التي تعد مصدر ازدهار الدبلوماسية السورية»، ويشرح الجعفري أسئلة يمتنئى الحدق

الفئة السياسية التقدمية الهنطقة عن الطبقات المتوسطة انقسمت حول القضايا ذات الطابع الدولي أو العربي